الخطاب التداولي في عبارات الجرح والتعديل
قراءة في سمات الخطاب وآليات بنائه

إعداد

الباحث/ إبراهيم عمر إبراهيم عياد

إشراف

الأستاذ الدكتور/ أحمد سعد محمد — الدكتور/ يسن علي رمضان

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي — أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد

الدكتورة/ هدى السيد محمد

مدرس البلاغة والنقد الأدبي

كلية التربية – جامعة عين شمس

مخلص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة سمات الخطاب التداولي في عبارات الجرح والتعديل، ويهدف أيضا إلى دراسة آليات بناء هذا الخطاب من خلال اختيار المتكلم للمفردات المحورية المؤثرة في معنى عبارات الجرح والتعديل، واعتماده بنية محددة للعبارة لأداء معنى بعينه دون غيره من البنى، واختياره للصور البيانية، وما يترتب على ذلك من أفعال كلامية مقصودة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب التداولي – التداولية– الجرح والتعديل

This research aims to study the characteristics of the deliberative pragmatic discourse in the phrases of aljurh waltaedi, and also aims to study the aspects of the speaker's consideration of the addressee in that discourse, and its role in the performance of the intended meaning, through the selection of the central vocabulary in the phrase, its adoption with one structure without the other, and testing the graphic images that lead to the meaning

Keywords: pragmatic discourse - pragmatic - aljurh waltaedil

الخطاب التداولي في عبارات الجرح والتعديل
قراءة في سمات الخطاب وآليات بنائه

إعداد

الباحث/ إبراهيم عمر إبراهيم عياد

إشراف

الأستاذ الدكتور/ أحمد سعد محمد — الدكتور/ يسن علي رمضان

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي — أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد

الدكتورة/ هدى السيد محمد

مدرس البلاغة والنقد الأدبي

كلية التربية – جامعة عين شمس

المقدمة

روي الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ) بسنده إلى محمد بن الفضل العباس « قال: كنا عند عبد الرحمن بن أبي حاتم وهو يقرأ علينا كتاب الجرح والتعديل، فدخل عليه يوسف بن الحسين الرازي فقال: يا أبا محمد ما هذا الذي تقرؤه على الناس؟ قال: كتاب صنفته في الجرح والتعديل، قال: وما الجرح والتعديل؟ قال: أظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة. »[١]

ففي هذه المحاورة البسيطة –والتي قيل إنها تتضمن أول تعريف لعلم الجرح والتعديل– يظهر الإمام أبو حاتم الرازي مفهوم هذا العلم وأثر مقولاته، فعلم الجرح والتعديل وفق ما أجمع عليه العلماء هو علم « يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة، وعن مراتب تلك الألفاظ وهو فرع من فروع علم رجال الحديث.»[٢]

---

[١]الكفاية في علم الرواية: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: أبي عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، د.ت، ص٣٨

[٢]أبجد العلوم: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م، ص٣٥٧.

وإذا تناولنا عبارة الجرح والتعديل بوصفها خطابا تداوليا، نجدها عبارة مخصوصة مقصودة قالها أحد العلماء وصفا لأحد الرواة في موقف محدد وفي زمان محدد ومكان محدد لغرض محدد. وثمة تلاق بين رؤية علماء الجرح والتعديل ورؤية النظرية التداولية لتلك العبارات، وهذا ما سيفصح عنه البحث إن شاء الله.

مكونات البحث:

جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج التداولي متوسلا بالوصف والتحليل، بالإضافة إلى المنهج التاريخي النقدي الذي يرصد مرجعيات عبارات الجرح والتعديل.

الدراسات السابقة:

لعل أقرب الدراسات لمادة هذا البحث دراسة الدكتور خيري قدري والتي جاءت بعنوان: **دور المجاز فى التوليد الدلالي دراسة تطبيقية على مصطلحات الجرح والتعديل.** وفيها عرض الباحث لأبواب علم البيان مع التمثيل لكل باب منها بمصطلحات الجرح والتعديل.

أما هذه الدراسة فستتناول سمات الخطاب التداولي في عبارات الجرح والتعديل، ومظاهر مراعاة المتكلم للمخاطب، وأثر ذلك في تأدية المعنى المقصود، منطلقة في ذلك من تداولية الخطاب في عبارات الجرح والتعديل.

التمهيد: ضبط مصطلحات البحث

لإيضاح المصطلحات والمفاهيم دور رئيس في استقامة البحث العلمي، لذلك كان لابد من الوقوف عند المصطلحات التي يتشكل منها عنوان البحث، من أجل تبيان دلالاتها، لأن المصطلحات تخضع للتطور الدلالي عبر الحقب الزمنية والتاريخية، وفهم مصطلحات الباحث من الضرورة بمكان؛ إذ مدار البحث هو على تلك المصطلحات، حيث إنَّ عنوان البحث هو «**الخطاب التداولي في عبارات الجرح والتعديل قراءة في قراءة في سمات الخطاب وآليات بنائه.**» وعليه فالمفردات التي عليها مدار البحث:

- الخطاب التداولي
- عبارات الجرح والتعديل

أولا: الخطاب

الخطاب: عملية تلفظية حيوية في الزمان والمكان يديرها شخصان أو أكثر بالكلام وبغير الكلام. [٣]

ثانيا: التداولية

التداولية علم تواصلي يعالج كثيرا من ظواهر اللغة ويفسرها ويساهم في حل مشاكل التواصل ومعوقاته؛ ولعل مرجع ذلك أنها مجال رحب يستمد معارفه من مشارب مختلفة؛ فنجده يأخذ من علم الاجتماع وعلم النفس المعرفي واللسانيات وعلم الاتصال والفلسفة التحليلية.[٤] وقد عرفها القاموس الموسوعي للتداولية بأنها« دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللّساني الذي تعنى به تحديدا اللسانيات.»[٥]

وعليه يمكن تعريف **الخطاب التداولي** بأنه: ذلك الخطاب الذي يتم بين طرفين أو أكثر في زمان محدد ومكان محدد وسياق محدد لتحقيق مقصد محدد.

ثالثا: عبارات الجرح والتعديل

العبارة: ما كان مكونا من جملة فأكثر. وذلك مثل: يكتب حديثه، أو لا يحتج به، أو لا بأس به أو يضع الحديث، أو لا أرى بحديثه بأسا إذا روى عنه ثقة، وغيرها من عبارات الجرح والتعديل.[٦]

الجرح لغة: جرحه يجرحه جرحا: أثر فيه، وجرَّحه أكثر ذلك فيه، وجرحه بلسانه: شتمه، والاستجراح: النقصان والعيب والفساد. والجرح بالضم: يكون في الأبدان بالحديد

---

[٣] المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم: خليفة الميساوي، دار الأمان، الرباط، ط١ ،٢٠١٣م، ص ٣٩٨

[٤]اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: نعمان بوقرة ، عالم الكتاب الحديث ، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م ، ص١٦٣

[٥]القاموس الموسوعي للتداولية: جاك موشلر وآن ريبول، ترجمة: عدد من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، بإشراف: عز الدين مجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠، ص ٢١.

[١] ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل بين الإفراد والتكرير والتركيب ودلالة كل منها على حال الراوي والمروي: أحمد معبد عبد الكريم، مكتبة أضواء السلف، القاهرة ، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٧ .

ونحوه؛ والجرح بالفتح: يكون باللسان في المعاني والأعراض ونحوها. وجرح الرَّجل أيضا: إذا جرحت شهادته، وكذا روايته.[٧] وجرح فلان فلانا سبه وشتمه، وجرح شاهدا أسقط شهادته [٨]. **وفي الاصطلاح:** هو« وصف متى التحق بالراوي والشاهد سقط الاعتبار بقوله وبطل العمل به.» [٩] ومن المعاصرين من عرفه بأنه « وصف متى الْتحق بالراوي أو الشاهد ردَّ روايتهما أو ضعفها»[١٠].

التعديل لغة: ضد التفسيق، والعدل ضد الجور، والعدالة: مصدر من عدل يعدل فهو عادل، وعدَّل الحكْم: أقامه، وعدَّل الرجل: زكاه. [١١] **أما في الاصطلاح** فهو« وصف متى التحق بهما – أي الراوي والشاهد – اُعتبر قولهما، وأُخذ به.» [١٢] أو هو «وصف متى الْتحق بالراوي أو الشاهد حكم بقبول روايتهما أو قواها.»[١٣]

وعليه، فمصطلح التعديل يدور حول معنى قبول الرواية من الراوي بالأوصاف المعروفة في التعديل، فيكون حديثه محتجًّا بحسب دلالة اللفظة وحكمِ صاحبها.

المبحث الأول: الخطاب التداولي في عبارات الجرح والتعديل

يعد مصطلح الخطاب من المصطلحات التي شاعت في حقل الدراسات اللغوية ولقيت إقبالاً واسعا من قبل الدارسين والباحثين، فالخطاب ليس بالمصطلح الجديد ولكنه كيان

---

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: السيد محمّد مرتضى الحسيني، الزَّبيدي، مطبعة حكومة الكويت،٣٣٧/٦ مادة (جرح)

(٣) ينظر: لسان العرب،٤٢٢/٢ ، مادة (جَرَحَ) .

(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت : ٦٠٦هـ) ، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني،ط١، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م، ١٢٦/١.

(٥) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير، الرياض، ط١، عام ١٤٢٢هـ ، ص١٧٠ .

(٦)ينظر: تاج العروس، ٣٠٤/٢٦، مادة (عدل).ينظر: لسان العرب،٤٣٠/١١، مادة (عدل).

(١٢)ينظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول: ١٢٦/١، وينظر: أصول الجرح والتعديل وعلم الرجال:ص٨.

(١٣)نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: ص١٧٠.

متجدد موجود في كل زمان، وقد شاع مفهوم الخطاب وانتشر في كتابات اللسانيات الحديثة، ولقي قبولا في المنحى الوظيفي المؤسس على الأبعاد التداولية.

فالخطاب –في رأي المعاصرين– شبكة من العلاقات التي تتناسق مع بعضها؛ من أجل الوصول إلى المعاني والدلالات الممكنة. إذ كل خطاب يحتوي على رسالة، وهذه الرسالة تضم وظائف معرفية تواصلية. (١٤)

وعليه، شكل الخطاب محورا مهما في الدراسات التداولية، وحظي باهتمام كثير من الباحثين مما جعله يتسم بالتنوع المفهومي والاصطلاحي، وصار محط اهتمام الدرسين في الدرس اللساني الغربي، فاستبدلوا بالكلام – لدى دي سوسير– مصطلحات أُخر من أهمها مصطلح الخطاب.(١٥) وعرفوا الخطاب على أنه « كل تلفظ يتطلب متكلم ومتلق للرسالة اللغوية، ويفترض عند المتكلم (المرسل) قصد التأثير على المتلقي بكيفية ما.»(١٦)

أما الخطاب – في نظر التداوليين – فهو وحدة لسانية تواصلية، تستلزم طرفين للتواصل، هما: مصدر الخطاب (المتكلم) ومستهلكه (متلقيه)، دون أن تتوقف ماهيته عند أحدهما، ويراعى في إنتاجه الظروف الداخلية والخارجية المتعلقة بكل خطاب؛ ومن ثَمَّ فهو يشمل كل إنتاج لغوي يربط بين بنيته الداخلية (الصوتية والتركيبية والدلالية) وظروفه المقامية. (١٧)

وثمة تلاقٍ بين هذا التصور للخطاب وما ورد في موروثنا العربي؛ ففي المعاجم العربية نجد «الخطاب» يدل على ذلك التفاعل اللغوي والمعرفي القائم بين أكثر من طرف، فهو

---

(١٤) أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، رشيد بلحبيب، بحث منشور ضمن مجلة اللسان العربي، العدد٤٧، المغرب، ١٩٩٩م، ص٢٤٠

(١٥)ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، دارالكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٣٦

(١٦)لسانيات النص، النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجا: لينده قياس، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٤١.

(١٧)الخطابة والتداولية نحو أداة إجرائية: منى غيطاس، بحث منشور ضمن مجلة الدراية، العدد١٥، سنة ٢٠١٥، ص١٣٥.

«مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان... والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة.»[١٨] وربما كان علماء الأصول هم أول من منح كلمة «الخطاب» وضعها المصطلحي، فالغزالي (ت٥٠٥هـ) يرى أن الخطاب «اسم مشترك قد يطلق على الألفاظ الدالة على ما في النفس، تقول: سمعت كلام فلان وفصاحته، وقد يطلق على مدلول العبارات، وهي المعاني التي في النفس.»[١٩] أما الآمدي (ت٦٣١هـ) فقد نحا نحو البعد التداولي في تعريفه للخطاب؛ إذ الخطاب عنده « اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه.» [٢٠] وعليه فليس الخطاب كلاما سائبا، وإنما هو كلام جارٍ بين طرفين أول أكثر، وله مقصدية، ويقتضي التّواضع والتعاقد بين المرسل والمستقبل.

أولا: مكونات الخطاب في عبارات الجرح والتعديل

تمثل عبارات الجرح والتعديل مثالا واضحا للخطاب بصورته الوظيفية التداولية، وقد ضم هذه العبارات في بداية الأمر ما يعرف بكتب السؤالات، التي هي عبارة عن ما ينقله التلاميذ عن المشايخ من أسئلة في الجرح والتعديل، وتنسب في الغالب إلى سائلها، وترجع غالبا إلى إمام واحد، وقد تكون الأسئلة لعدة مشايخ وهو قليل. فكتب السؤالات نمط من التصنيف يجمع فيه مصنفه ما يوجهه إلى شيخه من أسئلة عما يشكل عليه من المسائل في الفن الذي اشتهر به الشيخ، أو ما يهمه معرفة رأي شيخه فيه. وقد تنوعت أسماء تلك المصنفات فمنها ما صرح في اسمه بأنه خاص بالسؤالات فقيل فيه: «سؤالات فلان لفلان»، ومنها ما توسع فيه أصحاب التدوين فأطلقوا عليه مسميات أخرى كالتاريخ

---

[١٨]ينظر: لسان العرب: مادة« خ ط ب»

[١٩]المستصفى من علم الأصول: أبو حامد الغزالي، تحقيق: حمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣م، ٦٤/١

[٢٠]الإحكام في أصول الأحكام المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت: ٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، د. ت، ٩٥/١

والعلل وغيرها من المسميات التي تتسع في دلالتها لتشمل السؤالات الحديثية وغيرها من القضايا الحديثية.[٢١]ومن أشهرها:

- سؤالات ابن الجنيد لابن معين.
- سؤالات ابن أبي شيبة لابن المديني.
- سؤالات ابن أبي شيبة لبعض شيوخه.
- سؤالات الأثرم لأحمد بن حنبل.
- سؤالات الآجري لأبي داود.
- سؤالات عبد االله بن بكير وغيره للدارقطني.
- معرفة الرجال عن أبي زكريا يحيى بن معين.
- تاريخ أبي سعيد هاشم بن مرثد الطبراني عن أبي زكريا يحيى بن معين.
- سؤالات عبد االله لأحمد بن حنبل، وقد أُطلق عليه اسم: «العلل ومعرفة الرجال عن أبي عبداالله أحمد بن حنبل. وغير ذلك من كتب السؤالات...[٢٢]

فمكونات الخطاب تتمثل في ذلك التلميذ السائل، وذلك الشيخ المجيب، والسؤال والإجابة، ويضاف إلى ذلك بعض العناصر السياقية الأخرى التي لها موضع آخر غير هذا البحث.

ثانيا: سمات الخطاب في عبارات الجرح والتعديل

اتسم الخطاب في عبارات الجرح والتعديل الواردة في تلك المصنفات وغيرها من المصنفات التي عنيت برصد عبارات الجرح والتعديل **بسمات عدة منها:**

- **الجزئية**

يتصف الخطاب في تلك المحاورات بسمة الجزئية، إذ لا يمكن أن يتضمن الحوار كل ما نعرفه عن جميع العوالم الممكنة، أي أن المخزون الذهني لدى المتكلم والمخاطب

---

[٢١]السؤالات الحديثية دراسة في النشأة والتطور ومناهج المصنفين: أشرف خليفة، بحث ضمن حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد ٦، العدد ٣١، ص ٥٣٦

[٢٢] ينظر: المصدر السابق: ص ٥٤٠ وما بعدها.

يستحيل أن يكون شاملا لكل المعارف الموجودة في هذا الكون، وإنما يحتوي على جزء منها. (٢٣)

فالناقد يسأل عن أحد الرواة، وتكون إجابته في جانب محدد دون غيره من الجوانب لعلة واضحة في ذهنه، ومثال ذلك ما روي عن العجلي أنه قال: « **أبو معاوية الضرير محمد بن خازم الحماني كوفي ثقة، وكان يرى الإرجاء.**»(٢٤) فالناقد هاهنا ذكر ثلاثة أشياء وهي : نسبته إلى مكان بعينه (كوفي)؛ ولعل ذلك ليتفادى اختلاطه بغيره في ذهن المتلقي، ثم وثقه بقوله: ثقة، وذكر مذهبه العقدي فقال: وكان يرى الإرجاء. وهذا الوصف قليل من كثير لحياة الإنسان، لكنه جزء رآه الناقد يفى بمراد المتلقي.

- **الحركية**

تتسم عبارة الجرح والتعديل بسمة الحركية، لأن النموذج الذهني الحركي في حقيقته نموذج متغير، ولا يبقى ثابتا من بداية الخطاب إلى نهايته، بل يتغير بتغير مراحل الخطاب فمثلا القطع الأخيرة من الخطاب تكون مبنية على سابقاتها، والقطع الأولى تأخذ بعين الاعتبار ما سيقال في ما بعد. (٢٥) فانظر مثلا إلى عبارة الذهبي «**أبان بن تغلب الكوفى شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته، وقد وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم.**» (٢٦) تلحظ تلك الحركية بوصف الراوي «أبان بن تغلب» بالتشيع، ثم تتابع الكلام بعد ذلك باستدراك «لكن»، لينتهي الذهبي إلى:«لنا صدقه وعليه بدعته»، ويستدل على ذلك بتوثيق علماء آخرين فيقول: « وقد وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم.»

(٢٣) ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠١م، ص ١٨

(٢٤) الشرح والتعليل لألفاظ الجرح والتعديل: يوسف محمد صديق ، مكتبة ابن تيمية، الكويت،ط١، ١٤١٠هـ ، ص١٩

(٢٥) ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: ص ١٩

(٢٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، ط١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ ٥/١

- **الإنجازية**

تمثل اللغة في رأي التداوليين أداة لبناء العالم والتأثير فيه؛ فكثير من العبارات التي تشبه في تركيبها العبارات الخبرية لا تصف ولا تخبر بشيء، ولا تثبت أمرا ما على وجه الإطلاق، ومن ثم لا توصف بصدق ولا كذب، ورغم ذلك فإن لها معنى وأهمية بالغة الخطورة في تغيير العالم؛ فمجرد النطق بها هو إنجاز لفعل أو إنشاء لجزء منه؛ ولهذا ميز بين نوعين من العبارات الخبرية الأولى تخبر عن العالم، ويحكم عليها بالصدق أو الكذب، والثانية تنجز أفعالا، ويحكم عليها بمعيار آخر هو النجاح أو الفشل. (٢٧)

إذا كان النطق بالجمل الوصفية ينجز قولا، فإن الناطق بالجمل الإنجازية ينجز قولا وعملا معا في الآن نفسه. أي أن اللغة تعكس أنماطا وأنشطة اجتماعية أكثر من كونها أقوالا، فعبارة المتكلم عن قصده هي إنجاز فعل، وترمي الأفعال إلى صناعة مواقف بالكلمات مع الميل إلى التأثير في المخاطب بحمله على فعل ما أو تركه، أو تقرير حكم، أو إبرام عقد، أو إفصاح عن حالة نفسية. (٢٨)

فقوة المنطوق الإنجازية هي جزء من بنيته الدلالية، وهي ذلك المكون الذي يعطي لملفوظ ما قيمته من حيث هو فعل، وتتفاوت هذه القوة شدة وضعفا الممثلة باختلاف سياقات استعمال المنطوق وإن كانت جميعها تتحمل معنى واحدا. (٢٩)

ولنضرب لذلك مثالا من عبارات الجرح والتعديل في أخذ الرواة الذين اتفق على كذبهم، وهو معلى بن هلال؛ فقد قال عنه أحمد: متروك الحديث، حديثه موضوع كذبٌ، وقال مرة أخرى: كذاب. وقال عنه ابن معين: هو من المعروفين بالكذب، ووضع الحديث. وقال مرة: ليس بثقة كذاب. وقال البخاري: تركوه. وقال أبو داود: غير ثقة، ولا مأمون، وقال مرة: كذاب، وقال مرة: يضع الحديث. ويروى عن ابن عيينة أنه قال: هو

(٢٧) نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام: أوستين، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩١، ص١٤-١٦

(٢٨) نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمنابع الحديثة، دراسة تداولية: محمد مدور، بحث منشورضمن مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، العدد ١٣، ٢٠١٢م، ص٥٠

(٢٩)النص والخطاب والاتصال: محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للنشر الجامعي، القاهرة، ط١، ٢٠١٤، ص ٢١٩

من أكذب الناس.وقال النسائي: كذّاب. وقال علي بن المديني: ما رأيت يحيى بن سعيد يصرِح أحداً بالكذب إلا معلى بن هلال، وإبراهيم بن أبي يحيى فإنهما كانا يكذبان. وقال علي بن المديني أيضا عن أبي أحمد الزُّبيري: حدثت ابن عيينة عن معلّى الطُحَّان في بعض حديث ابن أبي نجيح فقال: ما أحوج صاحب هذا إلى أن يقْتل. (٣٠)

فالعبارات جميعها على اختلاف منطوقها اشتملت على معنى واحد وهو: كذب معلّى بن هلال بن سويد الحضرمي، لكن لكل منطوق منها قوة إنجازية ذات تأثير في استجابة المتلقَي، ويبدو هذا التفاوت في العبارات في طريقة عرض المعنى المراد إيصاله للمتلقي (الفعل الكلامي)، ويظهر هذا التفاوت جليا عندما تكون العبارات من أكثر من إمام في راوٍ واحد، فإذا عرضنا هذه الأقوال:

- **ما أحوج صاحب هذا إلى أن يقْتَل!**
- **هو من أكذب الناس.**
- **متروك الحديث.**

سنجدها عبارات تترتب من الشدة إلى الضعف مع اشتمال كل قول منها لمعنى الكذب.

ومن صور استخدامهم للعبارات المشتملة على أفعال إنجازية مباشرة ما رواه ابن عليَّة، قال: **قال لي شُعبةُ: اكْتُبْ عَنْ زِيادِ بْنِ مِخْراقٍ**، فإنه رجل موسِر لا يكْذب في الْحديث.

فشعبة هنَا مَال إلى استخدام أسلوب الأمر مباشرة وهو صورة من صور الأفعال الكلامية المباشرة. وقد نجد من بين علماء الجرح والتعديل من يستخدم النهي وهو أيضا صورة من صور الأفعال الكلامية المباشرة، ومن ذلك ما رواه صاحب تهذيب التهذيب قال: « قال علي وسألت يحيى بن سعيد عنه -يعني الربيع بن عبدالله بن خطاف-

(٣٠) التكميل في الجرح والتعديل ومعرِفة الثِّقَات والضعفاء والمجاهيل: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، ١٠٩/١-١١٠

فجعل يضرب فخذه تعجبا من عبد الرحمن فقلت ليحيى: لا أروي عنه شيئا أبدا قال أجل، **فلا ترو عنه شيئا، أنا أعلم به.**» [٣١]

وهكذا تنوعت عبارات الجرح والتعديل في القوة الإنجازية من حيث قوة هذه الأفعال، وتنوعت بين الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة.

- **التفاوت بين التلميح والتصريح**

يشترك طرفا الخطاب في عبارات الجرح والتعديل بقدر ما من المشترك المعرفي مما يحقق نجاحا في عملية التواصل، وتتفاوت صياغة العبارة اعتمادا على المخزون المعلوماتي للمخاطب؛ وبالتالي يكون التواصل إما عن طريق التصريح وإما عن طريق التلميح صراحتها التي يحددها مخزون المتكلم المعلوماتي حين التواصل، وما يفترضه المتكلم.

أولا– التلميح: وذلك يكون في حالة ما إذا افترض المتكلم مثلا أن مخزون المخاطب يتضمن من المعلومات ما يكفل تعرفه على المحال عليه اكتفى بالإشارة إليه. [٣٢] ومن ذلك ما قاله وكيع، حينما سئل عن مقاتل بن سليمان، فقد روي أبو حاتم الرازي بسنده أن وكيعا سئل عن مقاتل بن سليمان فقال: «سمعنا منه، **واالله المستعان**» [٣٣]

فهذه العبارة الأصل فيها أن تكون إشارة إلى كذب الراوي أو سقوطه بتلاعبه أو فحش تساهله أو قبح تدليسه أو غلوه في بدعته، أو نحو ذلك من الأمور المقتضية لتركه. ويدل على ذلك أيضا ما جاء عن الإمام أحمد بن حنبل، « قال أبو طالب: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كان أبو البختري يضع الحديث وضعا فيما يروي، وأشياء لم يروها أحد، قلت: الذي كان قاضيا؟ قال: نعم، وكنت عند أبي عبدالله، وجاءه رجل فسلم عليه، وقال: أنا من أهل المدينة، وقال: يا أبا عبدالله، كيف كان حديث أبي البختري، فقال: كان كذابا

---

[٣١] تهذيب التهذيب: ١٤٨/٢

[٣٢] ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠١م، ص ١٨

[٣٣] الجرح والتعديل: ص ٣٥٤/٨

يضع الحديث، فقال: أنا ابن عمه، قال أبو عبد الله: **الله المستعان**، ولكن ليس في الحديث محاباة»[٣٤]

ولعل في استدعاء النص القرآني ما يدل على هذا، قال تعالى ﴿ وجاؤوا عَلَى قَميصه بدمٍ كَذب قَالَ بَلْ سوَّلَت لَكُمْ أَنْفُسكم أَمرا فَصبرٌ جَميلٌ **واللَّه الْمستعان علَى ما تَصفُونَ** ﴾[٣٥]

فقد جاءت ردا من نبي الله يعقوب بعدما كذب عليه بنوه في أمر يوسف –عليه السلام–.

ومن صور التلميح أيضا ما روي عن سفيان بن عيينة أنه ذكر حديثا« فقيل له: يخالفك فيه مالك، فقال: أتقرنني بمالك؟ **ما أنا وهو إلا كما قال جرير:**

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قَرن لم يستطع صولة البزْل القناعيس.» [٣٦]

في تلك العبارة اعتمد سفيان بن عيينة على استخدام التلميح ليقدم صورة يقارن فيها بينه وبين الإمام مالك، فاختار بيت السابق، مشيرا بذلك إلى تلك الحالة التي يقرن فيها بين ابن اللبون وهو ابن الناقة الذي أتم عامين وبدأ في الثالث، وولدت أمه غيره فصارت ذات لبن، وبين البازل من البعير وهو الناضج الذي أتم ثمانية أعوام ودخل في عامه التاسع، فكيف بذاك الصغير أن يلحق بهذا الناضج؟

ثانيا– التصريح: وذلك يكون في حالة ما إذا افترض المتكلم أن مخزون المخاطب لا يفي بتمكينه من فهم مراده بالتلميح، فإنه يضطر إلى استعمال عبارة صريحة تضمن إنجاح عملية التواصل. [٣٧] وفي حال التصريح يتجلى ذلك المخزون المعرفي للمتكلم والمخاطب، ويبدو في ثلاث معارف أساسية هي:

---

[٣٤] موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله: جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري وآخرون،: عالم الكتب القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ص١٠٢/٤

[٣٥] سورة يوسف: الآية ١٨

[٣٦] سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،ط٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٨ / ٧٣

[٣٧] ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: ص ١٩

١-المعارف عامة:

وتتعلق بمدركات المتخاطبين حول العالم[٣٨]، وقد استخدم علماء الجرح والتعديل في عباراتهم ألفاظا تمثل صورة حية للمدركات من حولهم، فجاءت عباراتهم محملة بألفاظ تنتمي لحقول دلالية متنوعة، كالتضاريس والطعام، وعالم الحيوان، والملل والنحل، ...إلخ، للتعبير عن حال الرواة، وما نتج ذلك إلا من وعي بمدي إيضاح ذلك للمعنى المراد؛ والقوم في ذلك يبنون عباراتهم معتمدين على العرف اللغوي العام وما يترتب على ذلك من معنى شائع، ومن ذلك مثلا استخدامهم **لمصطلح جبل.**

فالجبل يعني: ما علا من سطح الأرض وجاوز التل ارتفاعا، أو هو ما تراكَم من كل شيء. [٣٩] وقد استخدم العلماء هذه اللفظة للدلالة على بلوغ أعلى درجات الصدق، وأعلى درجات الكذب، أي أنها تقال في أعلى درجات التوثيق، وتقال أيضا في أعلى درجات التجريح، فيقال عن كبار الكذابين: **جبل في الكذب أو كذاب جبل.**[٤٠]

ومن ذلك أيضا ما جاء في وصف عيسى بن مهران: « **رافضي كذاب جبل.**» [٤١]

وقد يستخدم للتوثيق، ويقال ذلك للراوي الضابط المتمكن، ويقصدون أنه كالجبل في ثبات العلم ورسوخه. ومثال ذلك ما قاله ابن حجر العسقلاني رواية عن الدارقطني في بشر بن الحارث، قال: قال الدارقطني: « **ثقة زاهد جبل ليس يروي إلا حديثا صحيحا.**» [٤٢]

وقد يوظّفون الطعام وما يتعلق به في عباراتهم، ومن ذلك ما رواه مكي بن إبراهيم عن شعبة « فقد سئل شعبة عن ابن عون فقال: **سمن وعسل،** قيل: فما تقول في هشام بن حسان؟ قال: **خل وزيت.** قيل: فما تقول في أبي بكر الهذلي؟ قال: **دعني لا أقيء به.**» [٤٣]

---

[٣٨] المصدر السابق: ص٢٠

[٣٩]موقع المعجم المعاصر صخر.

[٤٠] الشرح والتعليل لألفاظ الجرح والتعديل: ص٣٥

[٤١]لسان الميزان المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، سوريا، ، ط١، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م ، ص٤ /٤٠٦

[٤٢]تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ، ط١، ١٣٢٦هـ ، ص ٤٤٥/١

[٤٣]سير أعلام النبلاء ٢٢٠/٧

٢-معارف مقامية:

وهذا النوع من المعارف مشتق من عناصر المقام الذي تتم فيه عملية التواصل[٤٤]، ومن ذلك: ما رواه الإمام مسلم بن الحجاج عن عبيد الله بن عمر القواريري أنه قال: « **سمعت حماد بن زيد يقول لرجل بعد ما جلس مهدي بن هلال بأيام: ما هذه العين المالحة التي نبعت قبلكم؟ قال: نعم يا أبا إسماعيل.**» [٤٥]

فقد جاء في بيان مقام العبارة وجود رجل جلس يتعلم من مهدي بن هلال عدة أيام، ووجود ناقد هو حماد بن زيد، ويدور حوار بينهما دون التصريح باسم مهدي بن هلال، والمتلقي يعي ما يرمي إليه حماد بن زيد معتمدا على ما لديه من معارف مقامية استدعاها لتتم عملية الفهم.

٣-معارف تخصصية:

وهذه النوع من المعارف يتكون لدى المتخاطبين من خلال التخصص، فتصير أشبه بأدوات القياس في العلوم الأخرى. ومن ذلك قياسهم حال راوٍ على حال راوٍ آخر. ومن ذلك ما رواه ابن أبي حاتم الرازي عن أبي زرعة وعن أبيه في حق إبراهيم بن موسى، يقول ابن أبي حاتم: « سمعت أبا زرعة يقول: **إبراهيم بن موسى أتقن من أبي بكر بن أبي شيبة، وأصح حديثًا منه، لا يحدث إلا من كتابه، لا أعلم أني كتبت عنه خمسين حديثًا من حفظه، وهو أتقن وأحفظ من صفوان بن صالح.**» ثم قال ابن أبي حاتم: «سمعت أبي يقول: **إبراهيم بن موسى من الثقات وهو أتقن من أبي جعفر الجمال.**» [٤٦]

---

[٤٤] ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: ص ١٩

[٤٥] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١،ص ١٤/١

[٤٦] الجرح والتعديل أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٩٥٢م، ص١٣٧/٢

فالسياق هنا يستلزم أن يكون المتلقي على معرفة مناسبة بهذه الأسماء التي قيس عليها الراوي، فلن يعرف قدر« إبراهيم بن موسى» إلا إذا كان على معرفة بقدر من قيس بهم« أبو بكر بن أبي شيبة/ صفوان بن صالح/ أبو جعفر الجمال »

وقد يكون الأمر ومقارنة يقظة ذلك الراوي براوٍ آخر، كقول يحيى بن معين قال: «**ابن المبارك نائم أيقظ عندنا من الوليد.** » [٤٧]

المبحث الثاني: المتكلم وآليات بناء الخطاب في عبارات الجرح والتعديل

تؤدي ظروف المقال غير اللغوية كالمتكلم والسامع دورا رئيسا في تحديد خصائص الخطاب؛ ذلك أن جزءا كبيرا من معاني المفردات والجمل المستعملة يعتمد على الخبرة المشتركة بين المتكلم والمتلقي. [٤٨]

ووفقا للنظرية البلاغية فالمتكلم « طرف أساسي في عملية الكلام وعنصر فعال في تحديد خصائص الخطاب؛ إذ على عاتقه تقع كلفة إخراجه على سمت يستجيب لمقضيات الوظيفة والإبانة والمقام.» [٤٩] وهو الذي يعمل الأعمال الدلالية التي تنقلب عند النحوي إلى مفاهيم، ويعمل الأعمال الدلالية التي تنقلب عند البلاغي إلى مفاهيم بلاغية معنوية أو مجازية أو بديعية وهو مدعو لتحقيق المناسبة المرجوة حتى لا يخرج عن حد البلاغة إلى مراعاة الغرض الذي يسعى الحديث إلى تحقيقه، فلا يخلط بين أقدار الألفاظ وأقدار المعاني ولا يتصنع الجد حيث يجب الهزل. [٥٠]

---

[٤٧]الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت: ٣٦٥هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م، ص١٩٠/١

[٤٨] أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، رشيد بلحبيب، بحث منشور ضمن مجلة اللسان العربي، العدد٤٧، المغرب، ١٩٩٩م، ص٢٤٠

[٤٩]التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية،ط١، ١٩٨١م، ص:٢٤٨

[٥٠]المصدر السابق: ص:٢١١

فتوخي المعاني عملية يقوم بها المتكلم حين يختار نظما نحويا على نظم نحوي آخر وهو حين يختار فإنه يخضع لظروف غير لغوية يقوم البلاغي بوصفها مراعيا مختلف الحيثيات المقامية التي تساهم في تحديد خصائص الجملة البنيوية المختلفة. [٥١]

ومن ثم فمطابقة الكلام لمقتضى الحال من عمل المتكلم؛ ولزاما عليه أن يراعي المقامات وتفاوتها طبقا للقواعد والأصول الموضوعة «لأن تنزيل الكلام هذه المنزلة يحتاج إلى إتمام الآلة وإحكام الصنعة»[٥٢]

وإلى جانب هذا الوعي بدور المتكلم، وعى العلماء العرب دور المخاطب/ المتلقي في عملية الاتصال الكلامي، لكونه القطب الآخر من أقطاب العملية التواصلية، ومراعاته ومراعاة مقامه وجلب انتباهه يؤثر في تركيب الجمل وبنائها وفق ترتيب معين، أما عدم اعتبار المخاطب فقد يؤدي إلى خلق حالة معاكسة تماما لما كان المتكلم يروم فيه؛[٥٣] لذا جعلوا المخاطب بمنزلة الباعث الرئيس إلى التعبير عما في نفس المتكلم؛ لذا قال السهيلي:«اعلم أن الكلام صفة قائمة في نفس المتكلم يعبر المخاطب عنه بلفظ أو لحظ أو خط، ولولا المخاطب ما احتيج إلى التعبير عما في نفس المتكلم.»[٥٤] وعليه فهذا« القول على إيجازه يشير إلى ثلاث قضايا أساسية: **إحداها** القدرة الكلامية الكامنة في نفس المتكلم، والتي يعبر عنها تشومسكي ومن لف لفه بمصطلحه المشهور compétence. و**الثانية:** أن التعبير عنها يكون بوسائل لغوية (لفظ) وغير لغوية (لحظ) أو قل منطوقة وغير منطوقة. و**الثالثة:** أن المخاطب شريك لا بد منه في الاتصال الكلامي.» [٥٥]

---

[٥١] أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى:ص٢٤٠

[٥٢] البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٦، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ١٦٢/١

[٥٣] أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى: ص٢٤١

[٥٤]نتائج الفكر في النحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ص٢١٨

[٥٥]التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل: محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، ص٨٢.

وقد نبه عبد القاهر لمثل ذلك؛ فرأى أن صحة التراكيب لا يكفي فيها أن تجري على قواعد النحو، بل لا بد فيها من مراعاة حال المخاطب. فقال: « فإذا قلت: رجل جاءني لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أن الذي جاءك رجل لا امرأة، ويكون كلامك مع من قد عرف أنه قد أتاك آت... وكذلك إن قلت رجل طويل جاءني لم يستقم حتى يكون السامع قد ظن أنه أتاك قصير، أو نزلته منزلة من ظن ذلك.» [٥٦] فهو يتوقف في الحكم على الجملة بالصواب أو الخطأ؛ حتى يقف على حال المخاطب لذا يقول:« اعلم أنك إذا قلت: زيد منطلق. كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقا كان لا من زيد، ولا من عمرو، فأنت تفيده ذلك ابتداء. وإذا قلت: زيد المنطق. كان كلامك مع من عرف أن انطلاقا كان إما من زيد و إما من عمرو، فأنت تعلمه أنه كان من زيد دون غيره، والنكتة أنك تثبت في الأول الذي هو قولك: زيد منطلق. فعلا لم يعلم السامع من أصله أنه كان، وتثبت في الثاني الذي هو زيد المنطلق فعلا قد علم السامع أنه كان، ولكنه لم يعلمه لزيد فأفدته ذلك.» [٥٧] وبذلك جعل عبدالقاهر من «النظم دليلا على الكفاءة الذهنية التي يعتمد عليها المرسل في إنجاز الخطاب، بناء على المواءمة بين الكفاءة اللّغوية الكامنة في الذهن وعناصر السياق الخارجي.» [٥٨] فمعرفة المتلقي واجبة لأن مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقاتهم والحمل عليهم على أقدار منزلتهم [٥٩] وذلك من مهام المتكلم الذي يجب أن يبلغ من السامع مقصده كنشاط السامعين ووجودهم على هيئة جسدية وعقلية تسمح لهم بتمثل ما يقال لهم. [٦٠] وقد انتبه ابن جني إلى هذا الأساس المعياري مشيرا إلى بعد الإفهام المتعلق بالرسالة اللغوية نفسها، أو ما يتعلق بالمتلقي من حيث الإبلاغ أو

---

[٥٦]دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر ، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص١٤٣

[٥٧]دلائل الإعجاز: ص١٤٣

[٥٨]استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ص٧

[٥٩] البيان والتبيين: ٩١/١

[٦٠]التفكير البلاغي عند العرب ص:٢٠٩

الإفهام، فقد قيل لأبي عمرو بن العلاء: أكانت العرب تطيل؟ فقال: نعم لتبلغ، قيل: أفكانت توجز؟ قال: نعم، ليحفظ عنها. [٦١]

فالمتحدث يحتاج إلى معرفة المتلقين للخطاب؛ ولأجل ذلك أوصى بشر بن المعتمر المتكلم « أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.»[٦٢] فمراعاة حال المتكلم شكلا ومضمونا تقف جنبا إلى جنب مع مراعاة حال المخاطب، **وفي سبيل ذلك يعول المتكلم في بنائه للخطاب التداولي في عبارات الجرح والتعديل من على :**

أ-اختيار المفردات

تناول البلاغيون المفردات من جهتي الفصاحة، والبلاغة؛ أما في جهة الفصاحة التي تعنى بالوضوح والإبانة فوضعوا معايير يحكم من خلالها على المفردة بأنها فصيحة أو غير فصيحة، ومن ذلك: أن تكون سهلة النطق، بحيث تسلم من ثقلها على اللسان وعسر النطق، وأن تكون ظاهرة المعنى، ومستعملة، بحيث تسلم من الغرابة الوحشية في عرف أهل اللغة، وأن تكون على وفاق الاستعمال اللغوي في تصريفها، وللذوق السليم مدخل في التحسين والتقبيح.[٦٣]

وأما معيار بلاغة المفردة فمبني على مراعاة مقتضى الحال بعد فصاحتها، ولذا كان الحديث عن بلاغة المفردات في سياق التراكيب، فالمفردة الفصيحة لا توصف بالبلاغة مجردة عن سياقها، وإنما سياقها هو الذي ينبئ عن بلاغتها، وقد عبر عبدالقاهر عن ذلك بقوله:« فإنك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كلِما بأعيانها، ثم ترى هذا قد فرع

---

[٦١]الخصائص: ٨٤/١

[٦٢]البيان والتبيين: ١٣٦/١-١٣٧.

[٦٣] ينظر: سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م، ص٦٠

السماك، وترى ذاك قد لصق بالحضيض، فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هيَ لفظ، وإذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، لما اختلف بها الحال، ولكانت إما أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا.» [٦٤] وعليه يكون مدار اختيار اللفظة لتدل على المعنى المراد يكون في جانبين:

الجانب الأول: اختيار مادة الكلمة

وأعني بمادة الكلمة: الجذر اللغوي الذي تشتق منه سائر الصيغ، وترمز للدلالة الأصلية للمادة. وتظهر هنا بلاغة المتكلم في اختيار المادة التي تعبر بدقة عن المعنى المراد بخلاف المواد الأخرى التي تشاركها في أصل المعنى. [٦٥]

فغالب عبارات الجرح دارت في الجذور الآتية:

(ك ذ ب/ ض ع ف/ و ض ع/ ن ك ر/ ت ر ك/ و ه م/ ت ل ف/ خ ل ط/ ج ه ل/...)

أما عبارت التعديل فمدارها على الجذور الآتية:

(و ث ق/ ث ب ت/ ص د ق/ ع د ل/ ح ج ج/ص ح ح / ح ف ظ / ...)

الجانب الثاني: اختيار الصيغة المناسبة

تشتق الكلمات من الجذر على صيغ كثيرة، وتعطي كل صيغة دلالة وظيفية للكلمة، ومن الصيغ: اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة والتصغير...[٦٦]

وتظهر بلاغة المتكلم في اختيار الصيغة المناسبة التي تدل على الوظيفة المطلوبة، والاختيار بين الصيغ المتشابهة لما هو أدق تعبيرا وأرعى لمقتضى الحال؛ فالبليغ هو من يتخير المعنى الملائم للحال، ويعبر عنه باللفظ الملائم له حقيقة أو مجازا؛ فإن المعنى الواحد قد تشترك ألفاظ عدة في الدلالة على أصله، إلا أنها تختلف في الإبانة والدلالة

---

[٦٤] دلائل الإعجاز: ص٤٨

[٦٥] رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين: دراسة بلاغية تحليلية، يوسف بن عبدالله بن محمد العليوي، رسالة دكتوراة، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩ هـ ، ص٢٦٥ وما بعدها

[٦٦] المصدر السابق: ص٢٦٥ وما بعدها

على ما دقَّ من ذلك المعنى الذي يريد أن يعبر عنه المتكلم. ويختلف البليغ عن غيره في اختيار اللفظة التي تعبر عن المعنى الدقيق ووضعها الموضع اللائق لها في كلامه. [٦٧] فعندما يعبر الناقد عن أحد الرواة ويقول: «**فلان صالح الحال.**» لا يستوي ذلك مع قوله في آخر: « **فلان صويلح الحال.**»؛ فالتصغير يقتضي التقليل.

وعليه، أقدم هذه القائمة التي تتضمن بعض النماذج لجذور الكلمات المحورية في أشهر عبارات الجرح والتعديل، وقد تعددت تقاليب الصيغ وفقا لاختيار المتكلم: [٦٨]

الجذر	نماذج من الصيغ المشتقة منه
ك/ ذ/ ب	كذاب/ كذاب ليس بشيء/ أكذَب الناسِ/ كذاب أشر/كذاب جبل /كذاب مدبر/ كذب فلانٍ/من معادن الكذب/ منبع الكذب/ حيوان كذاب/ رمي بالكذب/...
ن/ ك/ ر	يروي المناكير/ له مناكير/ منكر الحديث /ذو مناكير/روى مناكير/ نكرة/ نكرة لا يعرف/ ..
ث /ب/ت	الثبت / ثَبَّت الحديث / ثبت رضا / ثبتت عدالته / ثَبَّتني فيه فلان / إليه المنتهى في التثبت / فلان أحد الأعلام الأثبات/ فلان ثبتوه جدا /...
و/ ث/ ق	ثقة/ ثقة ثقة/ ثقة ثقة ثقة /متفق على ثقته/ إليه المنتهى في الثقة/ فلان فوق الثقة جبل/ ثقة مبرز/ أوثق عندي من نفسي/ فلان من ثقات الثقات / ثقة عالم/ أوثق الناس/ ثقة حافظ / ثقة ربما أخطأ/ ثقة ربما أغرب/ ثقة ربما وهم/ ثقة روى عنه شعبة /ثقة روى عنه مالك/ ثقة صدوق / ثقة صدوق ليس بحجة/ثقة صدوق وإلى الضعف ما هو/ ثقة صدوق وليس بالقوي في الحديث ولا بالساقط/ ثقة صدوق وفي حديثه اضطراب/ ثقة في حديثه لين/ ثقة في حفظه شيء/ثقة في نفسه/ ثقة له أوهام/ ثقة مطلقا/ ثقة وِفاقا/ ثقة وفيه ضعف/ ثقة وليس بحجة/ ثقة وليس ممن يوصف بالضبط/ ثقة يخطئ/ ثقة يخطئ كما يخطئ الناس/ ثقة يغرب/ مجمع على ثقته/ فلان أوثق من أساطين مسجد الجامع/...
ص/ د/ق	فلان صدوق صدوق/ فلان الصادق المصدوق/ إلى الصدق ما هو / إليه المنتهى في الصدق /صدوق / صدوق إن شاء الله / صدوق إن شاء الله وله خطأ وأوهام / صدوق

[٦٧] المصدر السابق: ص٢٦٨ وما بعدها

[٦٨] ينظر: شفاء العليل، وينظر: معجم لسان المحدثين، وينظر: الشرح والتعليل لعبارات الجرح والتعديل، وينظر: ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل بين الأفراد والتكرير والتركيب، وينظر: الجامع في الجرح والتعديل، وينظر: معجم ألفاظ الجرح والتعديل، وغيرها...

	ثقة / صدوق ثقة سيء الحفظ جداً / صدوق ثقة ، وفي حديثه ضعف / صدوق حسن الحديث /صدوق ربما يهم / صدوق سيء الحفظ / صدوق صاحب كتاب / صدوق في الجملة / صدوق في حفظه شيء/صدوق في نفسه/ صدوق لا بأس به/ صدوق له أوهام/ صدوق له حفظ/ صدوق له ما ينكر/ صدوق ليس بمتقن/ صدوق وسط/ صدوق وقد وثّق/ صدوق وليس بحجة/ صدوق يتجهم / صدوق يخطئ/ صدوق يهم/ محله إن شاء اللّه الصدق/ محله الصدق/ محله الصدق والستر/ من معادن الصدق/...
ع/ د/ ل	عدل / اجتمع الناس على عدالته/ فلان العدل/ فلان أحد العدول/ عدل حافظ/ عدل ضابط /عدّله فلان /...
ح/ج/ج	فلان حجة/ حجة بلا نزاع/ حجة الله بين عباده/ فلان من حجج الله/ فلان حديثه حجة أحجج ما يكون/ حجة حافظ/ غير حجة/ يحتج به/ لا يحتج به /لا يحتجون بحديثه /لا يحتجون به / ليس بمحل للحجة/ يحتج بحديثه / يحتج به/ يكتب حديثه ولا يحتج به/
ص/ح/ح	فلان صحيح الحديث/ لا يدخل في الصحيح / لا يدرى صحيح حديثه من سقيمه/ ...
ح/ ف/ظ	فلان الحافظ الصدوق/ فلان حافظ كما يجب/ كان لا يحفظ / لم يكن بالحافظ/ رديء الحفظ / ليس بالحافظ/ ...
ت/ ر/ك	متروك / تركته ثم حدثت عن فلان عنه / تركه / تركه الناس / تركوه/ مجمع على تركه/...
و/ض/ع	يضع الحديث/ إليه المنتهى في الوضع /
أ/م/م	إمام / إمام الدنيا / إمام المحدثين/ إمام المحدثين في زمانه /إمام ثبت/ ...
غ /ي/ ر	تغيَّر حفظه / تغيَّر قليلا/...
ض/ع/ف	إلى الضعف ما هو / ضعف / ضعف قليلا/ ضعفه فلان ولم يهدر/ ضعفه وأبى أن يحدثا به/ ضعفوه/ضعفوه ولم يترك/ ضعفوه بمرة/ ضعيف / ضعيف الحديث، وهو ثقة صدوق/ ضعيف بالإجماع / ضعيف بالمرة / ضعيف جداً / ضعيف يستشهد به / ضعيف يعتبر به / في حديثه ضعف/ فيه ضعف /فيه ضعف ما / فيه ضعف ولم يترك / مجمع على ضعفه/...
ك / ل/م	تكلم فيه فلان / تكلّم فيه / تكلم فيه ولم يترك بالكلية/ تكلموا فيه /...
س/ ق/ط	ساقط / ساقط الحديث / ساقط عدم/...
ش/ي/خ	شيخ / شيخ الإسلام / شيخ صالح / شيخ فلان / شيخ لفلان / شيخ وسط/...

ص/ ل/ح	صالح / صالح الأمر/ صالح الأمر إن شاء الله/ صالح الأمر وقد لُين/ صالح الحال إن شاء الله / صالح الحديث/ صالح الحديث وفي حديثه لين / صالح صدوق ثقة ضعيف جدا/ صويلح / صويلح الحال/ صويلح الحديث/ له أحاديث صالحة/...
ق/ و/ ي	ليس بقوي/ ليس بالقوي / ليس بقوي في الحديث/...
ت/ ه/ م	متهم / متَّهم بالكذب / متهم بالوضع / متهم بسرقة الحديث / متهم يأتي بأوابد/ اتُّهم بتزوير سماعات /اتُّهم في اللقاء/ اتَّهمه فلان / حيوان متهم
ق/ ر/ب	مقارب الحال / مقارب الحال إن شاء الله / مقارب الحديث / مقارِب الحق/...
و /ه /م	يهِم كثيراً / يهم كثيرا، وهو حسن الحديث/...
ت/ ل/ف	تالف / تالف لا تحل الرواية عنه / تالف ليس بشيء/ ...
ج/ه/ل	يجهل/ يجهل حاله/ مجهول/مجهول الحال/ مجهول العين/ مجهول حالا/ مجهول عينا

ب-اختيار بنية مناسبة للعبارة

إن من أبرز ملامح نتاجات النظر البلاغي عند العرب اشتراطهم« موافقة الكلام لمقتضى الحال» والأخذ بالمقولة السائدة« لكل مقام مقال»، إذ ذلك يشير إلى وعي القوم بتأثير سياق الحال في بنية العبارة، فالاعتبار المناسب للحال يستدعي بالضرورة بناء لغويا معينا، فلكل اعتبار ناتج صياغي يتوافق معه. [٦٩] وهذا ما حدا بالبعض أن يرى في مطابقة الكلام لمقتضى الحال أساسا للبلاغة كلها؛ فالمتكلم حينما يقوم بذلك يكون قد تعدى مرحلة الإفهام. وعليه فاللغويون العرب عند اعترافهم بفكرة (المقام) يكونون قد أحرزوا تقدما يقارب الألف سنة تقريبا على زمانهم،لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسيين من أسس تحليل الخطاب يعتبر من الكشوف اللغوية التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة لدى الغرب. [٧٠]

[٦٩] البلاغة قراءة أخرى: محمد عبد المطلب، الشركة العالمية للطباعة والنشر – لونجمان، ط١، ١٩٩٧م، ص٧٠

[٧٠] اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، عالم الكتب ، القاهرة، ط٥، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م، ص: ٣٣٧

فمن المسلمات المنطقة أن المخاطب لا يبقى على حالة واحدة وإنما تعتريه حالات نفسية لا حصر لها، والبليغ لا يكون بليغا إلا إذا وقف إزاء كل حالة بما بطابقها من القول، والسبيل إلى ذلك أن يشتمل كلامه على الخصائص البلاغية التي تنتهي به إيصال المعنى من ﴿إطناب وقصر وإيجاز وتقديم وتأخير وفصل ووصل، وتعريف وتنكير.[٧١]

لذا أجمل القزويني الأمر فقال: « وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير يباين مقام التعريف ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ومقام التقديم يباين مقام التأخير ومقام الذكر يباين مقام الحذف ومقام القصر يباين مقام خلافه ومقام الفصل يباين مقام الوصل ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام ... وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له؛ فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب، وهذا أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم حيث يقول النظم تآخي معاني النحو فيما بين الكلام على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام... »[٧٢]

وإذا تتتبعنا بعضا من النماذج لعبارات الجرح والتعديل بدا لنا مراعاة النقاد لمقتضى الحال، بل بدا جليا اختيارهم للنظم المناسب للعبارة لأداء معنى بعينه، ففرق مثلا أن يقول الناقد عن أحد الرواة: « منكر الحديث»، وأن يقول عن آخر: « روى أحاديث منكرة»

وقد فرق العلماء بين العبارتين، فمن : « يقال فيه "**منكر الحديث** " ليس كمن يقال فيه "**روى أحاديث منكرة**". لأن "منكر الحديث" وصف في الرجل يستحق به الترك لحديثه. والعبارة الأخرى تقتضي أنه وقع له في حين، لا دائماً. وقد قال أحمد بن حنبل في محمد بن إبراهيم التيمي: "**يروي أحاديث منكرة**". وقد اتفق عليه البخاري ومسلم، وإليه المرجع في حديث "إنما الأعمال بالنيات". وكذلك قال في زيد بن أبي أُنيسة: " في بعض حديثه

---

[٧١] في فلسفة البلاغة العربية: حلمي مرزوق، دار الوفاء للنشر والطباعة، ط: ١، ٢٠٠٤، ص٧٨

[٧٢] الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم ، ط٤، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٣

نكارة (أو إنكار)". وهو ممن احتج به البخاري ومسلم، وهما العمدة في ذلك».[٧٣] وأيد الإمام السخاوي ذلك الفهم فقال: «وقد يطلَق ذلك على الثقة إذا روى المناكير عن الضعفاء. قال الحاكم: قلت للدارقطني: فسليمان بن بنت شرحبيل؟ قال: ثقة. قلت: أليس عنده مناكير؟ قال: يحدّث بها عن قومٍ ضعفاء. أما هو فثقة»[٧٤]

ج–اختيار الصور البلاَغية المناسبة

يبحث المتكلم في مفردات اللغة وتراكيبها عن ما يعبر به عن المعاني والأغراض التي تكنها نفسه، فيجد ألفاظًا موضوعة للتعبير عن ما يريد بدقة. إلا أنه قد يجد في نفسه من المعاني ما يرى أن الألفاظ الموضوعة لا تنهض بالتعبير عنها كما يريد، فيلجأ إلى أساليب أخرى لا تعبر في ظاهرها عن مقصوده، ولكنها ترسم في خيال المخاطب صورة المعنى الملفوظ، ليتوصل من خلالها إلى المعنى المقصود في أجلى صورة وأوضحها.

وهذا ما عبر عنه عبد القاهر الجرجاني حين قسم الكلام إلى قسمين: « ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده،... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل. أولا ترى أنك إذا قلت: هو كثير رماد القدر... فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك.»[٧٥]

ولما كانت الصورة تمثل تجاوزا باللغة من التعبير بما هو ممكن إلى التعبير بالمخالف؛ حيث يعدل المتكلم عن العلاقات الأولية التي تربط الوحدات اللغوية إلى علاقات جديدة،

---

[٧٣]النكت على مقدمة ابن الصلاح، الإمام بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد على سمك، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢٨٦

[٧٤]فتح المغيث شرح ألفية الحديث: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت،١٤٠٣هـ، ٣٧٣/١

[٧٥]دلائل الإعجاز: ٢٦٢

تبدو لأول وهلة غير مستساغة إلا في ضوء اعتبارات محددة، ووفقا للمنظور التداولي فالصورة وسيلة لغوية للاتصال تتضح قيمتها من محصول التفاعل بين ما هو بشري وأدبي وفني، دون إغفال النظر إلى الانتقال السياقي الذي تفرضه على المتكلم والسامع؛ من سياق التلفظ إلى سياق التلقي، على تنوع السياقات الثقافية والاجتماعية؛ لذا حرصت التداولية على دراسة اللغة في حيز الاستعمال، لتتجاوز الوضع اللغوي للمفردة إلى معنى آخر تكتسبه هذه المفردة من خلال السياق بنوعيه اللغوي والحالي. لأن التعبير بوساطة الصورة يحمل الخطاب إلى تجاوز ظاهر المعاني لينفذ إلى الحقيقة الباطنية، وذلك من خلال علاقات تنشأ بين المفردات بتجاوزها بنية التعبير الظاهرة من خلال وسائل بيانية متنوّعة تُولّد ما يسمى بالصورة، التي تكتسب طاقتها الإيحائية من تساميها وجاذبية تراكيبها فضَلا عن وظيفة التكثيف التي تؤديها الصورة على خير حال. (٧٦)

وبعبارة أخرى فالصورة البيانية– على تعددها وتنوعها – تكون علاقات وروابط غير معهودة، في سياق تعبيري هادف، يقود إلى خلق مضامين صورية جديدة، تأخذ الصور معها دورها الوظيفي في الدلالات المعنوية والنفسية على حد سوا، وتهيئ لمفاهيم جديدة يفوق تأثيرها تأثير واقعها القائم، الأمر الذي ينتج عنه اتساع في الصورة وتنامٍ في الدلالة، والتعبير بالدال الحسي عن المدلول التجريدي، بحيث تمنح ما هو تجريدي شكلا حسيًّا، وهذا ما يمكّنها من تعميق أدائها الوظيفي من النّاحية المعنويّة والنّفسيّة، وتصبح أكثر تأثيرا في نفسَ المتلقّي. (٧٧)

لذا أعرض لبعض الصور البيانية في عبارات الجرح والتعديل، بوصفها آلية اعتمد عليها العلماء في بناء عباراتهم.

(٧٦)اللغة العليا النظريّة الشعريّة: جون كوين، ترجمة: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٥ م، ص ١٤٥.

(٧٧)بلاغة الخطاب وعلم النّص: صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، للعدد 164 أغسطس ١٩٩٢م، ص ١٣٣.

١- آلية التشبيه:

التشبيه لغة: التمثيل، وهو مصدر مشتق من الفعل(شبه) بتضعيف الباء، يقال: شبهت هذا بهذا تشبيها، أي مثّلته به. أما في اصطلاح البلاغيين فله أكثر من تعريف، وهذه التعاريف وإن اختلفت لفظا فإنها تتفق معنى، ويمكن إجمال تلك التعريفات بقول الهاشمي: التشبيه هو عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قُصِد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة؛ لغرض يقصده المتكلم. (٧٨)

وقد انتبه البلاغيون إلى المعاني التي تنتج عن التشبيه، فتارة يطلقون عليها ثمرات التشبيه، وتارة يطلقون عليها فوائد التشبيه، « فبينوا أنك إذا أردت تشبيه الشيء بغيره فإنما تقصد به تقرير المشبه فى النفس، بصورة المشبه به، أو بمعناه. فيستفاد من ذلك البلاغة فيما قصد به من التشبيه على جميع وجوهه من مدح، أو ذم، أو ترغيب، أو ترهيب...، أو غير ذلك من الوجوه التى يقصد بها التشبيه وتراد للإيجاز أيضا والاختصار فى اللفظ من تعديد الأوصاف الشبهية، وتراد للبيان والإيضاح أيضا». (٧٩)

ومن صور التشبيه في عبارات الجرح والتعديل قول الحافظ الجوزجاني: قلت لأبي اليمان الحكم بن نافع البهراني: **(ما أشبه حديثه – يعني إسماعيل- بثياب نيسابور، يرقم بائعه على الثوب المائة، ولعله اشتراه بعشرة أو: بدونها، ...)** (٨٠)

فاشتمل هذا التشبيه على: **المرسل:** الإمام الجوزجاني وهو عالم معتبر في فنه. و**المتلقي:** أبو اليمان. و**الرسالة:** وهي كلام الإمام الجوزجاني الذي مفاده الحكم على إسماعيل بن عياش بالجرح أو التعديل. و**القصدية:** فالإمام الجوزجاني يقصد إفهام المتلقي أن هذا الراوي ضعيف، فاستخدم التشبيه؛ فشبه حديث إسماعيل بن عياش، بثياب نيسابور، موضحا وجه الشبه بينهما وهو الكذب، فأهل نيسابور في بيع الثياب؛ حيث كانوا يضعون

(٧٨)جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩ ، ص ٢١٩.

(٧٩) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي اليمني، طبعة سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، العدد ١٨٦، ج١ / ص٢٧٤

(٨٠)شفاء التبريح: ص ٢٠٩

الأثمان العالية كي يغروا بها المشتري، وكذلك يفعل راوي الحديث في رأي الإمام الجوزجاني.

وإذا تتبعنا تلك الأفعال الكلامية في قول الحافظ الجوزجاني نجدها:

فعل القول: نجده لا يخرج عن قول الإمام الجوزجاني : (ما أشبه حديثه – يعني إسماعيل– بثياب نيسابور، يرقم بائعه على الثوب المائة، ولعله اشتراه بعشرة أو: بدونها، ...)

الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول): نجده فيما تتضمنه هذه العبارة من قدح في ذلك الراوي.

الفعل التأثيري (لازم فعل الكلام) : يتمثل في تجريح الراوي، وعدم قبول حديثه.

ومثله ما روى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي حاتم الرازي أنه قال: **أحاديث مسدد عن يحيى بن سعيد عن عقبة أيضا عن نافع عن ابن عمر كأنها الدنانير.** ثم قال: **كأنك سمعتها من في النبي صلى الله عليه وسلم.** (٨١)

فالناقد هنا عندما أطلق هذا التشبيه، ووصف هذه الأحاديث بالدنانير، كأنه يريد أن يقول: هي لا تقبل الشك عندي، وكأنه قد جعل الراوي(مسدد) في مصاف التعديل، دون تحوي العبارة الملفوظة منه ذلك، بل هذا ما فهمه المتلقي عندما جمع بين طرفي التشبيه.

ومثله أيضا (كأنك سمعتها من في النبي _صلى الله عليه وسلم_) فالناقد لم يقل هنا أن الأحاديث صحيحة (بشكل مباشرَ)، وإنما اتكأ على المشبه به ليدفع عن أحاديثه كل شك.

أحاديث مسدد = الدنانير، والدنانير لا تقبل الشك، إذن الراوي صحيح الحديث ومن العدول.

أحاديث مسدد = كأنك سمعتها من فِي النبيﷺ، وكلام النبي لا يقبل الشك، وعليه فالراوي صحيح الحديث، وهو من العدول

فثمة تجوز دلالي قائم عندما يوجه التشبيه في ضوء السياق التداولي، فعندما يقول: **أحاديث مسدد كالدنانير.** فإنه يجعل الحديث الذي يرويه مسدد واحدا من الدنانير بحيث

(٨١) شفاء العليل بألفاظ وقواعد الجرح والتعديل: أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ومكتبة العلم بجدة، ط١، ١٩٩١م ص٤١

يجمع تحت جنس الدنانير أحاديث مسدد أو أن يجعل الدنانير صفة للأحاديث، وفي الحالتين يجعل من الأحاديث (المشبه) شيئا آخر غير جنسها وهو معنى يستحيل تحققه، حينها ينتقل الذّهن بمعونة قرينة السياق إلى المعنى الثاني الذي تحمله الجملة وهو المعنى الجامع أو الرابط العرفي بين الأحاديث وتشبيهها بالدنانير، ليكون المعنى المقصود إجمالا: هذه الأحاديث لا تقبل الشك، مما يترتب عليه فعل إنجازي، وهو تعديل ذلك الراوي وقبول أحاديثه.

٢-آلية المجاز العقلي:

لم تخل عبارات الجرح والتعديل من استخدام العلماء للمجاز العقلي، وإن كانت العبارات التي تضمنته قليلة وفق ما تعرض له الباحث من عبارات، ومن ذلك استخدامهم للعلاقة المصدرية؛ للتعبير بمعنى الفاعلية والمفعولية، في تعبيرات شاعت على ألسنة الكثيرين منهم، مثل المصدر (رضا) فقد جاء في عباراتهم بمعنى اسم المفعول، كقولهم: **فلان ثقة رضا/ فلان ثقة مأمون رضا.** أي مرضي عنه. ومنه: قول أبي إسحاق الفزازي: **مالك حجة رضا كثير الاتباع للآثار.**[٨٢]

وقول أبي حاتم في بشر الحافي: **ثقة رضا.** ومثله أيضا قولهم: **فلان ثقة،** فهي مصدر من الفعل وثِق، فقد أطلق المصدر وأريد به اسم المفعول أيضا، كأنهم أرادوا القول: موثوق فيه.

وليست هذه الصورة الوحيدة لاستخدام المصدر، فقد يطلقون المصدر ويريدون به اسم الفاعل، كقولهم: **فلان عدل،** والمراد عادل. ومن ذلك أيضا: قول أبي حاتم في بشر الحافي: **ثقة رضا**

وإذا تأملنا ذلك تداوليا، وجدنا المتلقي ينتقل من المعنى الظاهر إلى معنى آخر، مستعينا في ذلك بقرينة السياق التي تستدعي معنى يخالف المعنى الظاهر، ليتوافق مع قصد المتكلم، الذي بنى عبارته على ما يخالف المنطقية اللغوية التي يتبناها تأويل المتلقي،

[٨٢] ترتيب المدارك ١٥٣/١

وكأنه في ذلك يعيد تشكيل البنية اللغوية محاطا بدائرة واسعة تسمى العرف اللغوي، ثم يبدأ إجراء التأويل الذي يجعله يحيل المصدر بظلاله المعنوية إلى اسم الفاعل أو اسم المفعول؛ لينتج المعنى المراد.

ومن العبارات التي تضمنت المجاز العقلي أيضا: ما رواه الخطيب بسنده إلى إسماعيل القاضي أنه قال: دخلت يوما على يحيى بن أكثم وعنده قوم يتناظرون في الفقه وهم يقولون: قال أهل لمدينة. فلما رآني قال: **قد جاءت المدينة.** [٨٣]

فيحيى بن أكثم أراد المبالغة في مدح إسماعيل القاضي، فجعل من قدومه عليه قدوما للمدينة بما تحويه من علم وعلماء وفقه وفقهاء، وأسند المجيء إلى المدينة مجازا، ليظهر مكانة الرجل وعلمه، إذ ليس من المعقول مجيء المدينة.

فالمتلقي لما سمع هذه العبارة كان على وعي بأن وراء هذه البنية معنى آخر يتجاوز هذا الإسناد، مستندا في ذلك على السياق الذي هو سياق مدح وثناء، وما لديه من معرفة بالعرف اللغوي وما تتضمنه (المدينة) من معان، لا سيما بعد قول الجالسين: يقول أهل المدينة؛ لذا انتقل إلى معنى مستلزم وهو المدح لإسماعيل القاضي. وإذا تمثلنا الأفعال الكلامية الناتجة عن هذه العبارة نجدها: **فعل القول**: وهو منطوق يحيى بن أكثم: **قد جاءت المدينة.** و**الفعل الإنجازي**: وهو ما تضمنه هذا المجاز من معنى مستلزم (مدح يحيى لإسماعيل القاضي). و**الفعل التأثيري**: إظهار مكانة إسماعيل القاضي، وبيان منزلته بين أهل العلم، فهو يساوي المدينة.

٣-آلية المجاز اللغوي:

عرف السكاكي المجازاللغوي بقوله: « الكلمة المُستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالًا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع»[٨٤]

---

[٨٣] تاريخ بغداد: ٢٨٦/٦.وسير أعلام النبلاء: ٢٤٠/١٣، وشرح ألفظ التوثيق والتعديل:ص٩٢.

[٨٤] مفتاح العلوم، ص ١٩٨.

فالمجاز اللغوي كل كلمة مستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة وقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وكأننا – بتعبير علماء الدلالة –أمام دلالتين: دلالة مركزية (المعنى الأصلي)، ودلالة هامشية (معنى المعنى)، ننطلق من الأولى إلى الثانية ومطيتنا في ذلك القرينة المانعة من إرادة الدلالة المركزية، والعلاقة التي تربط الدلالة المركزية بالدلالة الهامشية. (٨٥)

ولما كانت العلاقة ركن ركين في النقل المجازي؛ انطلق البلاغيون في تقسيمهم للمجاز اللغوي من نوع العلاقة، فجعلوا من علاقة المشابهة قسما وهو الاستعارة، أما ما دون ذلك من العلاقات جعلوه قسما آخر وهو المجاز المرسل.

أ– المجاز المرسل

المجاز المرسل هو الكلمة المستعملة قصدا في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. وبتعبير آخر هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة ومناسبة غير المشابهة كاليد إذا استعملت في النعمة، لما جرت به العادة من صدورها عن الجارحة وبواسطتها تصل إلى المقصود بها. (٨٦)

ومن ثم فنحن أمام قراءة أخرى لمعنى الكلمة يختلف تماما عن المعنى المعجمي، لأن المجاز في عرف علماء الدلالة صورة من صور الانحراف الدلالي، تتنحى فيه الكلمة عن معناها المعجمي، إذ لا منطقية للمعنى المحمول عليها إلا بتأويل، ولا تأويل لها إلا بوجود رابط معرفي وخبرات حوارية بين المتكلم والمتلقي. (٨٧)

وهناك من عبارات الجرح والتعديل ما استعان قائلها ببنية المجاز المرسل لأداء فعل كلامي غير مباشر، ومن تلك العبارات قولهم : **فلان الألسنة مجمعة على الثناء السيء عليه.** (٨٨)

---

(٨٥) علم الدلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨، ص٣٦..

(٨٦)علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع: أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ص٢٤٩

(٨٧)ينظر: التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم: محمد غاليم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٨٧، ص ٥٦.

(٨٨) شفاء العليل: ص٢٥٥

ففي هذه العبارة استخدم الناقد المجاز المرسل في لفظ (الألسنة)، وقد أطلق الآلة وأراد ما ينتج عنها من كلام. ويمكن اعتبار العلاقة أيضا جزئية؛ إذ أطلق الجزء(الألسنة) وأراد الكل (الناس).

ويبدو أن اللسان كان أكثر العناصر استدعاء، فمن بين العبارات التي استخدم فيها اللسان في بنية المجاز المرسل: قولهم : فلان خبيث اللسان. وقولهم: **فلان ليس بمستقيم اللسان**. [٨٩]

اللسان هو العضو الأكثر حضورا في العملية التواصلية، وكثيرا ما أشارت الآثار إلى خطورة أثره؛ لذا نجد وعيا بذلك الأثر في عبارات الجرح والتعديل.

فاستخدام كلمة (اللسان)، وصفهم للسان بالخبث أو بعدم الاستقامة صورة من صور المجاز المرسل الذي لجأ فيه المتكلم إلى استدعاء العلاقة الآلية، ووعي المتلقي ما يقصده المتكلم بعد إعمال ذهنه. ويمكن أن نأخذ إحدى هذه العبارات ونحللها تحليلا تداوليا كالآتي :

ففعل القول: قولهم: فلان خبيث اللسان. فالمتلقي يدرك أن بنية هذه العبارة تختلف عن المعنى المقصود؛ لذا يبدأ في رصد ما استخدمه المتكلم من أدوات بلاغية؛ حتى يحدد موضع المجاز المرسل ونوع العلاقة للوصول إلى المعنى المراد. ليصل إلى المعنى المقصود.ومن ثم ينتج عن هذه البنية **فعل إنجازي** يتمثل في القدح في ذلك الراوي، ويتبعه **فعل تأثيري** يجعل المتلقي يضع ذلك الراوي في مصاف المجروحين ومن لا تقبل روايته.

ومن بين العبارات التي استخدم فيها المجاز المرسل أيضا « قول النضر بن شميل لرجل كتب كتب الحسن بن زياد اللؤلؤي الذي كذبه غير واحد: **لقد جلبت إلى بلدك شرًّا** ». [٩٠]

فالرجل في حقيقة الأمر لم يجلب شرا إلى بلده، وإنما جلب كتبا عن الحسن بن زياد اللؤلؤي الذي كذبه غير واحد، فعبر الناقد عن تلك الكتب بما سينتج عنها وما ستسببه وهو الشر، فالعلاقة إذن مسببية. ومن نماذج المجاز أيضا ما رواه العقيلي عن عبد الملك

---

[٨٩] السابق: ص٢٣٠

[٩٠] شفاء العليل: ص٢٥٩

بن عبد الحميد الميموني أنه قال: « قلت لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: إسماعيل بن زكريا كيف هو؟ فقال: أما الأحاديث المشهورة التي يرويها فهو فيها مقارب، **ولكنه ليس ينشرح الصدر له...**»[٩١] فالصدر ليس موضع الانشراح أو عدمه، وإنما عبر به لكونه محل القلب الذي ينشرح أو لا ينشرح، فقد أطلق الإمام أحمد المحل (الصدر) وأراد الحال (القلب) لذا فالعلاقة هنا المحلية.

ب- الاستعارة

يرى القزويني أن الاستعارة «مجاز علاقته تشبيه معناه بما وضع له. وكثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه، فيسمى المشبه به مستعارا منه، والمشبه مستعارا له، واللفظ مستعار»[٩٢].

وببعض التأمل نجد أن هذا التعريف اتكأ على علاقة المشابهة، وهي الآلية ذاتها التي نجد لها حضورا في تعريف السكاكي للاستعارة إذ يقول: «[الاستعارة] هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به»[٩٣]. ويجدر بنا أن نشير إلى أنَّ عبد القاهر ارتكز في تعريفه للاستعارة على آلية أُخرى هي النقل؛ إذ نجده يعرف الاستعارة بأنها «أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم»[٩٤].

وعليه، فالاستعارة تمثل تجاوزا باللغة من التعبير بما هو ممكن إلى التعبير بالمخالف؛ حيث يعدل المتكلم عن الرضوخ لسلطة العلاقات الأولية التي تربط الوحدات اللغوية إلى علاقات مدعاة جديدة، غير مستساغة في الواقع الأولي. ولعل هذه التجاوز من أهم ما

---

[٩١] شرح ألفاظ التجريح النادرة أو قليلة الاستعمال: ص٦٩

[٩٢] الإيضاح: ص ١٩٤

[٩٣] مفتاح العلوم: ص ٢٠٢.

[٩٤] أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط١، ص ٢٢.

يميز اللغة التعبيرية لدى الإنسان، لذا حظيت الاستعارة بعناية الدارسين على اختلاف مشاربهم.[٩٥]

ومن ثَمَّ عنيت التداولية بدراسة الاستعارة بوصفها نشاطًا لغويا يستدعي حضورا متزامنا لأطراف الخطاب الكامنة في المرسل والمستقبل والرسالة والمقام، في ضوء المعينات التواصلية الذاتية والسياقية والإحالية؛ ليتحقق التواصل بين البشر؛ وبهذا يكون البعد التداولي للاستعارة قد تجاوز حدود النظرية الدلالية التي لم تتعدَّ في تفسير الاستعارة محور الدلالة، دون الأخذ في الاعتبار النسق العام الذي يحكم العلامة الاستعارية، الخاضع بدوره لشروط تداولية كامنة فيه.

ومن ذلك ماروَاه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن عبيد الله بن عمر القواريري أنه قال: سمعت حماد بن زيد يقول لرجل بعد ما جلس مهدي بن هلال بأيام: «**ما هذه العين المالحة التي نبعت قبلكم؟ قال: نعم يا أبا إسماعيل**» [٩٦].

فعبارة «**ما هذه العين المالحة؟**» استعارة تصريحية مؤداها تشبيه الراوي بعين ماء المالحة في حين أن الدلالة المستلزمة التي يتغياها الناقد هي تجريح هذا الراوي أو تعديله، فنسأل كيف عبر الناقد بهذه الطريقة؟ وكيف استطاع للمخاطب أن يدرك المعنى المراد؟

إن المتكلم لا يلجأ إلى مثل هذا الصنيع إلا وهو مستند إلى ملكاته التدليلية، ومبادئ التخاطب، وقرائن الأحوال، أضف إلى هذا اعتبار قدرة المخاطَب على الوقوف على مقاصد المتكلم، وهو نفس ما يستند إليه هذا الأخير لتأويل القول[٩٧]، ويمكننا رصد أهم مراحل الاستدلال على المقصود وفق ما يلي:

أ-قول الناقد: ما هذه العين المالحة؟ ← (فعل القول).

---

(٩٥) تداولية الاستعارة من خلال أسرار البلاغة: خليفة بوجادي، بجث منشور ضمن مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات- جامعة البليدة٢، الجزائر، العدد الخامس، ٢٠١٣م، ص١٦٢

(٩٦) شرح ألفاظ الجرح النادرة أو قليلة الاستعمال:سعدي الهاشمي، مكتبة العلوم والحِكم- المدينة المنورة، ط١٩٩٢،١م،ص٤٧ ، وانظر أيضا: شفاء العليل بألفاظ وقواعد الجرح والتعديل: ص٢١٢.

(٩٧) المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزم التخاطبي أنموذجا: ليلى كادة، رسالة دكتوراة، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، ص٣٩٦

ب-السياق: سياق حكم بالجرح أو التعديل ← (السياق / قرائن الحال).

ج-المخاطب يدرك أن العين المالحة إشارة للراوي.

د-ما يعرضه الناقد غير ملائم ← (مبدأ الملاءمة).

هـ- ما دام المتكلم عقد على التعاون فلابد أنه يقصد معنى آخر ← (مبدأ تعاون).

و- ما دام السياق تجريحا لهذا الراوي فلابد من علاقة بين العين المالحة والتجريح، لذلك نحن أمام مسلسل الاستدلال العقلي.

- عين الماء مالحة.
- ملوحة الماء تعني عدم الانتفاع.
- عدم الانتفاع يدل على قلة الطالبين له أو انعدامهم.
- وقلة الطالبين أو انعدامهم تعني ترك الراوي لانعدام الفائدة منه.

وبمثل هذا التوجيه تقريبا علق صاحب كتاب «شفاء التبريح في شرح ألفاظ التجريح » على هذه العبارة فقال:« وهذا الوصف «بالعين المالحة» ينطبق على مهدي بن هلال، فعين الماء تحمد إذا تدفق منها الماء العذب ....، وأما إذا لم يكن ماؤها قراحا معينا حلوا ينفع الشرب والزرع فلا فائدة منها، وكذلك مهدي بن هلال لو كان حديثه كحديث الثقات لكان نافعا ومفيدا لكنه لما عرف عنه الكذب ورواية الموضوعات عن الأثبات، والمعضلات عن الثقات، خرج عن حد الاحتجاج به.»[٩٨]

٤-آلية الكناية:

إن المتتبع للكناية في الدرس البلاغي القديم والدرس اللساني الحديث يجد أن « تصور العلماء العرب للكناية يشبه إلى حد كبير ما درسه العلماء المحدثون للتَّداولية، فهناك ترادف وتطابق تام بين الدراستين، وذلك من خلال العلاقة بين العبارة التي تفيد وتدل على معنى معين على غير ما وضعت له وهي علاقة لازم بلزوم أو ملزوم بلازم» [٩٩]

[٩٨] شفاء التبريح في شرح ألفاظ التجريح: أبو الفضل عمر الحدوشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.ص: ٢٠٩

[٩٩]البلاغة الاصطلاحية: عبده عبد العزيز قليقله، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٤، ٢٠٠١ م، ص ٢٨٧

وإذا تتبعنا تعريفات القدامى لمصطلح الكناية، سنجد ما أورده عبد القاهر في دلائله في فصل «في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره»، يقول: « [الكناية] أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه»[١٠٠]ثم جاء السكاكي وعرفها بقوله: «هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك.»[١٠١] وعرَّفها الخطيب القزويني في الإيضاح أيضا بقوله: «الكناية لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه.»[١٠٢]

ومن ينعم النظر في هذه التعريفات يلحظ أنَّ « مدار الكلام في الكناية هو العدول عن التصريح إلى التلميح، فهي لا تنافي الحقيقة بلفظها، إذ تبقى على علاقة لزومية بما تم التصريح به»[١٠٣]، إذ الأقوال الكنائية أقوال إضمارية ذات معان استلزامية، لا يذكرها المتكلم باللفظ الموضوع لها في اللغة، إنما يأتي إلى ألفاظ تلزمها فيذكرها قاصدا بها طلب ملزوماتها.

ومن يقرأ الكناية من المنظور التداولي« سيراها مظهرا من مظاهر خرق قانون الكيف، إذ المنطوق به غير المفهوم من التعبير الكنائي، ومن ثَمَّ يبدو دور المقام في الوقوف على حقيقة المعنى الكنائي لأن "المدلول الكنائي المستلزم يتولد مقاميا بسبب خرق المتكلم لمبدأ الإفادة، فإذا كان المقام مقام مدح بالكرم مثلاً، فآية مزية في أن تمتدح المرء بأن له رمادا كثيرا إلا إذا كان مقصودك معنى غير هذا»[١٠٤]

وذلك أمر لم يغفل عنه القدامى، إذ جعلوا المقولات الكنائية مشروطة باعتبار مقام إنتاجها يقول عبد القاهر: «ألا ترى أنك لما نظرت إلى قولهم: هو كثير رماد القدر، وعرفت منه

---

(١٠٠)دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، مطبعة المدني، ط٣- ١٩٩٢، ص ٦٦.

(١٠١)مفتاح العلوم: أبو يعقوب السكاكي، طبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ص ١٧٠

(١٠٢)الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٤١

(١٠٣)المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ظاهرة الاسلزام التخاطبي أنموذجا: ليلى كادة، رسالة دكتوراة، كلية اللغات والآداب، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.٢٠١٢م، ص٣٩٣ وما بعدها.

(١٠٤)السابق: ص٣٩٤

أنهم أرادوا أنه كثير القرى والضيافة، لم تعرف ذلك من اللفظ ولكنك عرفته بأَن رجعت إلى نفسك فقلت: إنه كلام قد جاء عنهم في المدح ولا معنى للمدح بكثرة الرماد، فليس إلا أنهم أرادوا أن يدلوا بكثرة الرماد على أنه تنصب له القدور الكثيرة ويطبخ فيها للقرى والضيافة، وذلك لأَنه إذا كثر الطبخ في القدور كثُر إحراق الحطب تحتها، وإذا كثر إحراق الحطب كثر الرماد لا محالة»[١٠٥]

وكأنهم بذلك جعلوا من تداولية المعنى قرينة مساعدة في التأويل تصرف المتلقي إلى المعنى اللازم انطلاقا من المعنى الظاهر، ومن أمثلة ذلك في عبارات الجرح والتعديل ما رواه البغدادي بحق الإمام البخاري بسنده أن محمد بن قتيبة قال: « كنت عند أبي عاصم النبيل فرأيت عنده غلاما، فقلت له: من أين قال: من بخارى، قلت: ابن من؟ قال: ابن إسماعيل. قلت: أنت من قرابتي. فقال لي رجل بحضرة أبي عاصم: **هذا الغلام يناطح الكباش**»[١٠٦]

ويمكن تحليل هذه العبارة تداوليا كالآتي:

أ-قال الناقد عن الراوي: هذا الغلام يناطح الكباش ← (فعل كلامي).

ب-السياق: سياق حكم بالجرح أو التعديل ← (السياق / قرائن الحال).

ج-المخاطب يدرك الأبعاد الثقافية لعبارة " يناطح الكباش"← (الخلفية المعرفية).

د-ما يعرضه الناقد غير ملائم من حيث ظاهر المعنى ← (مبدأ الملاءمة).

هـ- المتكلم عقد على التعاون فلابد أن الناقد يقصد معنى آخر ← (مبدأ تعاون).

ما دام هذا السياق مدحا وتعديلا لهذا الراوي فلابد من علاقة بين يناطح الكباش ومدح الراوي (الملاءمة، المعقولية، الإفادة).

ويمكن تتبع الاستدلال العقلي لهذه العبارة كالتالي:

١-الكبش دليل على القوة في ثقافة العرب.

٢-الناقد أراد أن يمدح الراوي

---

[١٠٥]دلائل الإعجاز، ص ٤٣٠

[١٠٦]تاريخ بغداد : ٢ /١٨

٣-الكبش القوي نطاح لا يقف أمامه أحد.

٤-الراوي القوي يقارع العلماء الكبار ولا يثبت أمامه أحد.

ومنها أيضا ما روي عن علي بن المديني في تجريحه لعبد الرحمن بن عمرو بن جبلة، وشباب بن خياط، فقد قال -ابن المديني- :« **في دار عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة، وشباب بن خياط شجر يحمل الحديث.**» [١٠٧]

فاختار الناقد وصفا للراويين، ليكني به عن حالهما، فوصف دار كل واحد منهما بأنها بها شجر يحمل الحديث، وهذا الوصف، يحتمل عدة معانٍ من الناحية اللغوية، فيمكن أن يكون كناية عن حمل للحديث دون فهم له، أو كثرة الرواية أو اختلاق الحديث فكأنه ينبت وانتحاله في داره دون أن يتلقاه عن الشيوخ. ولا يمكن توجيه العبارة إلا بقرائن خارجية، كاستدعاء للسياق العبارة، فضلا عن معرفة حال الراوي الذي قيلت فيه، وهذا من مقتضيات التوجيه التداولي للمعنى المراد.

والذي عليه العلماء أن هذا اللفظ إن قيل فيمن اتهم فهو جرح ويكون معناه: أن الراوي يحدث بأحاديث لم يسمعها ممن يحدث عنهم فربما أنه سرقها أو وضعها، وإذا قيل في رجل قد ثبتت عدالته فمعناه: أنه مكثر كما قاله ابن عدي والذهبي وقد تكون هذه الكثرة بطريق السماع الصحيح وقد تكون تدليسا. [١٠٨]

والجامع بين العبارتين أن الناقدين اختارا الوصف لاستدعاء المعنى المستلزم، وكان المعنى مصحوبا بالدليل المناسب في كل مرة، ولجأ المتلقي في كل عبارة إلى إعمال ذهنه في البحث عن المعنى المناسب للمقام في ضوء العرف التداولي لكل عبارة.

---

[١٠٧] شفاء العليل: ص٢٤٦، وانظر أيضا: شفاء التبريح: ص٢١٢

[١٠٨] شفاء العليل :ص٢٤٦، وينظر أيضا: الشرح والتعليل لألفاظ الجرح والتعديل : ص٩٧

الخاتمة:

- عبارات الجرح والتعديل حقل لغوي بكر صالح للدراسة في مناحي اللغة كافة.
- عبارات الجرح والتعديل أفعال كلامية بامتياز؛ إذ ينبني عليها قبول الروايات أو تركها.
- يمثل قطبا العملية التخاطبية –المتكلم والمخاطب– في عبارات الجرح والتعديل محورا رئيسا في فهم مراد المتكلم؛ إذ قد يختلف المراد من العبارة باختلاف قائلها، وكذلك المخاطب ومدى ارتباطه بالمتحدث.
- مالت عبارات الجرح والتعديل للعبارات الوصفية التي تمثل الأفعال الكلامية غير المباشرة، كقولهم: (ثقة، صحيح الحديث، مستقيم الحديث، ضعيف، متروك، ...)
- اشتملت بعض العبارات على الأفعال الكلامية المباشرة كالأمر والنهي وما إلى ذلك.
- بدت مراعاة المتكلم للمخاطب في اختياره لجذر المفردات المناسبة، وكذا تقاليب الكلمة، بالإضافة إلى بناء سياق مناسب يؤدي الغرض.
- اختار علماء الجرح والتعديل في بعض الأحيان استخدام الصورة البيانية لأداء المقصد، وقد جاءت الصور في أبواب البيان المعروفة، وغلب عليهم استخدامهم استخدام التشبيه، نظرا لقربه لذهن المتلقي.

المصادر المراجع

- أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، رشيد بلحبيب، بحث منشور ضمن مجلة اللسان العربي، العدد٤٧، المغرب، ١٩٩٩م.
- الإحكام في أصول الأحكام:أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي(ت: ٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، د. ت.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، دارالكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل بين الإفراد والتكرير والتركيب ودلالة كل منها على حال الراوي والمروي: أحمد معبد عبد الكريم، مكتبة أضواء السلف، القاهرة ، ط١، ١٤٢٥هـ.
- الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم ، ط٤، بيروت، ١٩٩٨م.
- التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، ط١، ١٩٨١م.
- التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثِّقَات والضعفاء والمجاهيل: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت:٧٧٤هـ) دراسة وتحقيق: شاديَ بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، ط١، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول: ابن أثير الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني،ط١، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
- الخطاب مفهومه، أنماطه، وظيفته من وجهة نظر الوظيفية أحمد المتوكل نموذجا: مريم بوقرة، بحث ضمن مجلة تاريخ العلوم، العدد ١٠، ديسمبر ٢٠١٧.
- الخطابة والتداولية نحو أداة إجرائية: منى غيطاس، بحث منشور ضمن مجلة الدراية، العدد١٥، سنة ٢٠١٥.
- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر ، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م
- رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين: دراسة بلاغية تحليلية، يوسف بن عبدالله بن محمد العليوي، رسالة دكتوراة، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩ هـ.
- السؤالات الحديثية دراسة في النشأة والتطور ومناهج المصنفين: أشرف خليفة، بحث منشور ضمن حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد ٦، العدد ٣١.

- الشرح والتعليل لألفاظ الجرح والتعديل: يوسف محمد صديق، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط١، ١٩٩٠م.
- شرح ألفاظ الجرح النادرة أو قليلة الاستعمال: سعدي الهاشمي، مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة،ط١، ١٩٩٢م.
- شفاء العليل بألفاظ وقواعد الجرح والتعديل: أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ومكتبة العلم بجدة، ط١، ١٩٩١م
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠١م.
- الكفاية في علم الرواية: أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي ت(٤٦٣هـ)، تحقيق: أبو عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- لسان الميزان : ابن حجر العسقلاني؛ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.
- لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجا: لينده قياس، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
- مباحث في علم الجرح والتعديل، قاسم علي سعد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ
- المستصفى من علم الأصول: أبو حامد الغزالي، تحقيق: حمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣م.
- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم: خليفة الميساوي، دار الأمان، الرباط، ط١ ،٢٠١٣م.
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) : تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير، الرياض، ط١، عام ١٤٢٢هـ .
- نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام: أوستين، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩١م.